المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة

الانتخابات الرئاسية الفرنسية 2017:

القوى المؤثرة في المشهد السياسي وحظوظ المرشحين

ماهر قنديل | أبريل 2017

الانتخابات الرئاسية الفرنسية 2017: القوى المؤثرة في المشهد السياسي وحظوظ المرشحين

سلسلة: تقييم حالة

ماهر قنديل | أبريل 2017

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2017

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات
شارع الطرفة، منطقة 70
وادي البنات
ص. ب: 10277
الظعاين، قطر
هاتف: 44199777 974+
www.dohainstitute.org

المحتويات

مقدمة	1
مفاجآت التأهل وحظوظ المرشحين	1
"لو سيستام" أو النظام المرئي وغير المرئي	4
الفضاء الإلكتروني	8
المؤسسات والشخصيات الفكرية	11
المؤسسات الأمنية	15
المؤسسات الصغيرة والمتوسطة	18
الخاتمة	21

مقدمة

تكتسي الانتخابات الرئاسية الفرنسية 2017 أهمية دولية بالغة، وستكون الساحة الفرنسية أرضًا لمعركة شرسة بين العولمة التي تمثلها التيارات التقدمية، والقومية الوطنية المتمثلة بالتيارات المحافظة. ولا نبالغ إن صنفناها إحدى أهم الانتخابات الرئاسية في تاريخ الجمهورية الخامسة منذ عام 1958؛ بما أن انعكاساتها ستحدد مستقبل الاتحاد الأوروبي الذي تهدده مارين لوبان. وقد تشهد فرنسا بنسبة كبيرة رئيسًا من خارج الثنائية الحزبية التقليدية الجمهورية أو الاشتراكية المسيطرة على الرئاسة منذ عام 1981. أمّا عربيًّا، فما يحدث في فرنسا سينعكس على القضايا العربية، وعلى مكانة فرنسا وعلاقاتها الثقافية والتاريخية مع الوطن العربي.

مفاجآت التأهل وحظوظ المرشحين

أفرزت نتائج الدور الأول من سباق الانتخابات الرئاسية الفرنسية 2017 تحولات بارزة في اليمين، واليسار؛ إذ تغيرت وجوه الصفوف الأولى المتصدرة للمشهد السياسي الفرنسي في الأعوام الماضية كنيكولا ساركوزي، وألان جوبيه، في معسكر اليمين؛ ومانويل فالس، وفرنسوا هولاند (الذي لم يعلن ترشحه لهذا المعترك الرئاسي أصلًا)، وسيغولان رويال، ولوران فابيوس، في معسكر اليسار. واستبدلهم الناخبون بسياسيين ثانويين من حيث الأهمية والنفوذ والشهرة؛ كفرنسوا فيون الذي سبق أن شغل منصب رئيس حكومة في نظام أوتوقراطي سيطر عليه ساركوزي بيد من حديد؛ فلم يكن لفيون خلاله ظهور قوي، وكذلك إيمانويل ماكرون، الشاب الطموح المنشق عن الحزب الاشتراكي الذي لم يكن حضوره فيه بارزًا مقارنة بالكاريزما التي يتمتع بها رئيس الوزراء، فالس؛ لينشئ حركة "إلى الأمام" ويترشح من خلالها. والأمر نفسه ينطبق على الاشتراكي بنوا هامون الذي أحدث مفاجأة كبرى في الأوساط السياسية الفرنسية بعد انتصاره في الدور الأول على فالس.

إن هذه التحولات الداخلية الموازية للتحولات الجارية على المستوى الدولي، مع صعود دونالد ترامب لرئاسة الولايات المتحدة، ونجاح فلاديمير بوتين في قيادة صراعه ضد الغرب في سورية وفي أوكرانيا، قد ساهمت جميعها في ارتفاع شعبية التيارات الشعبوية في العالم، وفي أوروبا خاصة. وليس من المستغرب اليوم أن تتصدر

اليمينية الشعبوية مارين لوبان المشهد السياسي العام في فرنسا، وتصنفها أغلبية استطلاعات الرأي المرشحة الأوفر حظًا للوصول إلى قصر الإليزيه.

إن ارتفاع أسهم لوبان في استطلاعات الرأي لا يعني بالضرورة أن الأمور قد حسمت قبل الأوان، بل قد تسير الأوضاع ضد رغبات هذه المرشحة، مقارنة بما حدث خلال المفاجأتين الانتخابيتين في الولايات المتحدة (فوز ترامب)، وبريطانيا (البريكسيت). فالمفاجأة الحقيقية في فرنسا تتمثل اليوم بعدم فوز لوبان بالانتخابات الرئاسية، وليس العكس. وستكون المفاجأة أكبر، إذا ما أخفقت في الوصول إلى الدور الثاني، وهو أمر غير مستبعد، إذا ما تعمقنا جيدًا في حسابات الانتخابات الفرنسية المعقدة. فالشاب الصاعد ماكرون يتميز برنامجه بالوسطية (لا يمين ولا يسار) وبالعولمية، ولا يجد حرجًا في الانقلاب على بعض الطابوهات المحرمة في الأوساط السياسية كاستنكاره استعمار فرنسا للجزائر وصرّح مؤخرًا إنه "جريمة ضد الإنسانية". وهو الأمر الذي سيكسبه نقاطًا عديدة عند الناخبين من أصول مغاربية وجزائرية، وتقدر نسبتهم بنحو 10 في المئة من مجمل الناخبين، وسيدعم ذلك فرصته للفوز في الانتخابات.

أمّا فيون، وعلى الرغم من فضيحة "بينيلوب – جات"، فإنه لم يفقد كامل حظوظه في الفوز، خصوصًا أنه تصدر قائمة المرشحين للفوز قبل الفضيحة. لم يقل اليسار كلمته الأخيرة بعد، وستنتعش فرصه أكثر إذا ما اتحد العمالي اليساري التقليدي، جان لوك ميلونشون، عن حزب "فرنسا المتمردة" (تروتسكي، ومناضل في الحزب الاشتراكي سابقًا) مع اليساري التقدمي، هامون، عن الحزب الاشتراكي؛ وهو أمر إن حدث سيؤدي إلى تقوية فرص اليسار في الوصول إلى الدور الثاني على أقل تقدير. لكنّ عملية الاندماج بينهما ليست سهلة في ظل رغبة كل منهما في الحفاظ على حظوظه كاملة، وعدم الانصهار مع الآخر. وتكمن صعوبة الاندماج بينهما في كون ميلونشون يعتقد أنه صاحب الشعبية والتجربة والكاريزما الأكبر، في حين يستند هامون إلى عراقة حزبه الاشتراكي وشعبيته، ولن يقبل بسهولة التنازل عن مرشحه للانصهار مع مرشح ينحدر من حزب أقل شعبية وأهمية.

ولم تعد الصراعات الانتخابية، وعملية تشكيل رأي عام الطبقة الناخبة، تقتصر على تجمعات المرشحين وبرامجهم فقط، بل توسعت أيضًا لتضم جهدًا مجتمعًا ومركزًا لرجالات السياسة والمال والفكر والإعلام التقليدي والإلكتروني وجماعات الضغط؛ ليشكلوا في النهاية مشهدًا عامًا يستهلكه الناخبون ويؤثر في اختياراتهم.

وأصبحت الفئات الجماهيرية، في فرنسا خاصة، وفي الغرب عامة، تتأثر كثيرًا بالجودة المسرحية والأفعال المثيرة للمرشحين، غير عابئة كثيرًا بصدق وعودهم وتصريحاتهم وخطاباتهم. وهذا انطبق، مثلًا، على فوز ترامب في الولايات المتحدة بسبب جودة مسرحيته الانتخابية، وليس بالتركيز على صدق وعوده من عدمها. وهو ما يمثّل انقلابًا صارخًا على قيم "البوليتيكمون كوراكت" (اللباقة السياسية) التي طالما حدد احترام مسارها فرص النجاح.

وما عدا المرشحين الخمسة الكبار الذين ذكرناهم (ماكرون، ولوبان، وفيون، وميلونشون، وهامون)، تشارك مجموعة أخرى من المرشحين الذين جمعوا أو هم في طريقهم لجمع 500 توقيع وكفالة إجبارية من المنتخبين المحليين، وأعضاء البرلمان الفرنسي (الجمعية الوطنية، ومجلس الشيوخ)، والأعضاء الفرنسيين المنتخبين في البرلمان الأوروبي، كي يترشحوا رسميًا للانتخابات. وينحدر بعض هؤلاء المرشحين من تجربة سياسية عريقة كالعضو السابق في الحزب الجمهوري والنائب ديبون إينون الذي أنشأ حزب "انهضي يا فرنسا"، وترشح لانتخابات 2012، ولكنه لم ينجح وحصل على 1.80 في المئة من أصوات الناخبين. كما توجد في هذه القائمة المرشحة ميشال آليو ماري التي تقلدت عدة وزارات مهمة سابقًا (الداخلية، والخارجة، والعدل، والدفاع)، وأنشأت آليو ماري مؤخرًا حركة "فرنسا الجديدة"، وانسحبت بعدها من الحزب الجمهوري لكي تترشح بصفة مستقلة لهذه الانتخابات، لكنها لم تتمكن من جمع 500 توقيع اللازمة للترشح الرسمي. ونذكر المسلمة من أصول إفريقية راما ياد التي شغلت منصب نائبة وزير الخارجية برنارد كوشنير في حكومة فيون سابقًا، ولم تتمكن هي الأخرى من جمع 500 توقيع. ويحضر في هذه القائمة كذلك المثير للجدل فرانسوا آسيلينو الذي لا تعرف عنه شريحة عريضة من الفرنسيين الكثير، وهو الداعي للخروج من الاتحاد الأوروبي والناتو، والمعادي للولايات المتحدة الأميركية والسياسات الأطلسية، وقد تمكن من جمع 500 توقيع، بعدما فشل في الحصول عليها خلال انتخابات 2012. وتبدو فرص هؤلاء المرشحين منعدمة في الفوز أو حتى الوصول إلى الدور الثاني، وهذا ما تؤكده حقائق الميدان، ومعظم استطلاعات الرأي بسبب افتقادهم البرامج الطموحة والنموذجية، والدعم السياسي الحزبي، والشعبي، والإعلامي، والمالي.

"لو سيستام" أو النظام المرئي وغير المرئي

يطلق عموم الفرنسيين مجازًا تعبير لو سيستام[1] للإشارة إلى الدولة العميقة والطبقة الحاكمة صاحبة النفوذ المرئي وغير المرئي التي ترسم المشهد السياسي العام المؤثر في توجهات الناخبين، وتشكل الرأي العام الذي يسهم في ترجيح كفة مرشح على أخر؛ من خلال تحكمها وامتلاكها وسائل التأثير الجماهيري كالإعلام (الإعلام والصحافة التقليدية) والثقافة (مؤسسات الطباعة والنشر... إلخ). وتتكون هذه الطبقة من أوليغارشية صغيرة من رجال السياسة، والأعمال، والبنوك، والمجتمع المدني، كما تضم أصحاب المراكز العليا في المنظمات الحقوقية العابرة للقارات، والمنظمات المالية الدولية كاليساري، دومينيك ستروس كان، مدير عام "صندوق النقد الدولي" سابقًا، صاحب الأدوار المؤثرة في دهاليز السياسة الفرنسية والدولية، حاله كحال زوجته السابقة الإعلامية الشهيرة الفرنكوأميركية، آن سانكلير التي تدير النسخة الفرنسية من صحيفة "هافنغتون بوست"، وتوازيه التأثير اليمينية، كريستين لاغارد، خليفته في رئاسة صندوق النقد الدولي، وباسكال لامي، المدير العام لمنظمة التجارة العالمية.

والدولة العميقة في فرنسا صاحبة النفوذ المثلث: السياسي والمالي والإعلامي، ويمكن أن يضاف إليها عمود رابع مدني (المجتمع المدني) ليصبح النفوذ مربعًا. ويمكن تشبيهها بالنفوذ الناعم للمؤسسة الحاكمة[2] في الولايات المتحدة باحتوائها وجذبها الناخب من خلال التشابك الأخطبوطي بين المال والأعمال والبنوك والإعلام (وول ستريت، والاحتياطي الفيدرالي، وهوليوود... إلخ).

إن التوجهات السياسية لجماعات الضغط وأصحاب النفوذ في فرنسا ليست موحدة بالضرورة، فهي تراوح بين اليمين الوسطي واليسار الوسطي، وهما يشهدان زوال الكثير من الفوارق بينهما في المدة الأخيرة، بعد سيطرتهما على الحكم مدة طويلة. ويكمن تقارب رؤى أصحاب النفوذ في الإستراتيجيات السياسية والاقتصادية العامة. وخلافًا للدولة العميقة القومية والنقابوية الموجودة في دول أميركا الجنوبية مثلًا، فإن الأيديولوجية السائدة عند رجال النفوذ في فرنسا تحررية وتقدمية اجتماعيًا وسياسيًا، ونيوليبرالية كوسموبوليتية اقتصاديًا. وهذا ما يمكن

[1] "لو سيستام" (Le Système) باللاتينية هو النظام بالعربية، وفي المصطلحات الشعبية الفرنسية تعني النظام العميق الذي يتحكم في الدولة ويؤثر فيها.

[2] بالإنكليزية: The Establishment

ملاحظته من خلال تتبع تطور الخطاب الإعلامي والسياسي والتوجهات الاقتصادية لفرنسا طوال فترات الجمهورية الخامسة (منذ عام 1958). وهو ما ينبئ بانحصار خيارات أصحاب النفوذ في الدولة العميقة بنسبة كبيرة في ماكرون البنكي واليساري السابق، وفيون اليميني وصديق بوتين.

ويؤسس ماكرون منذ انشقاقه عن الحزب الاشتراكي خطابًا ليبراليًا في النواحي الاقتصادية، وتحرريًا في النواحي الاجتماعية والسياسية. ووعد بتشكيل حكومة متنوعة تضم وزراء من مختلف التوجهات السياسية (يمينية، ويسارية، ووسطية)، تلائم صورته بصفته شابًا ذا حماس فياض، وطموح منقطع النظير، مع طموحات لوبيات الدولة العميقة؛ فهو يمتلك من الطاقة ما سيساعد على محو الصورة الروتينية والنمطية التي تسيطر على السياسة الفرنسية منذ بداية الحكم الروتيني لساركوزي، وهولاند. كما أن خطه السياسي الوسطي والليبرالي، وصورته بصفته مرشحًا لا يمثل اليمين ولا اليسار، سيسمحان بإجراء عملية تجميلية مذهلة للنظام السياسي، من دون إحداث تغييرات جذرية في البنية السياسية والاقتصادية للدولة. ويستند ماكرون إلى دعم شخصيات قوية من أصحاب النفوذ:

- مارك سيمونسيني، رجل الأعمال، صاحب موقع "ميتيك" الشهير للقاءات على الإنترنت[3].
- بيير بارجي، رجل الأعمال، وأحد الممولين الرئيسيين للحزب الاشتراكي[4].
- برتراند دولانوي[5]، عمدة باريس الأسبق، وهو سياسي نافذ من الحزب الاشتراكي.
- فرانسوا بايرو، السياسي اليميني الوسطي المخضرم، مؤسس حركة "مودام" وريثة "الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية"، وهو حزب فاليري جيسكار ديستان آخر رؤساء فرنسا (1974–1981) قبل انطلاق

[3] Christelle Ibach, "Marc Simoncini :: Meetic, business angel, et soutien de Macron,," Cadre et Dirigeant magazine, 28/11/2016., accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2o3JDSU

[4] "Présidentielle 2017 : Présidentielle 2017 : Pierre Bergé annonce son soutien à Emmanuel Macron,", *RTL*, 30/1/2017., accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2nD9R3z
http://www.rtl.fr/actu/politique/presidentielle-2017-pierre-berge-annonce-son-soutien-a-emmanuel-macron-7786996922

[5] "Le ralliement de Delanoë à Macron divise les socialistes," *Libération*, 9/3/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2o3ziGK

ظاهرة الاحتكار الثنائي المطلق للحزبين الجمهوري والاشتراكي للرئاسة، وصلت حد التعايش داخل أنظمة واحدة في بعض الفترات 1986–1988، و1993–1995، و1997–2002، من خلال تقاسم الإليزيه (الرئاسة) وماتينيون (مقر رئيس الحكومة). وفضّل، بايرو، خلال هذه الرئاسيات التحالف مع ماكرون على الترشح بنفسه[6]، وهو العرض الذي أغرى ماكرون، وقبله بكل رحابة صدر نسبة إلى وزن بايرو ونفوذه الكبيرين في الأوساط السياسية والجماهيرية.

أمّا فيون، فلا تزال لوبيات الدولة العميقة، حتى في شقها اليميني، متحفظة بشأنه نوعًا بعد انكشاف فضيحة تشغيل زوجته، بينيلوب كلارك، في منصب وهمي. ويمكن استشعار ذلك من خلال مطالبة شخصيات يمينية مرموقة (معظمهم مقربون من ساركوزي) فيون بالانسحاب لاستبداله بفرنسيس باروان[7]. ومن هؤلاء النائب جورج فينك، والنائب فيليب جوسيلين، والمرشح السابق للرئاسيات في الدور الأول برونو لومير[8]، وكذلك نادين مورانو[9]. كما سحب حزب "اتحاد الديمقراطيين والمستقلين" اليميني مساندته لفيون[10]، واقترح عمدة نيس، كريستيان ايستروزي، مبادرة صريحة تسمح بخروج فيون بطريقة مشرفة من السباق الرئاسي[11].

ويبدو أن برنامج فيون المحافظ اجتماعيًا، وغير الواضح اقتصاديًا على الرغم من ادعائه الليبرالية، يزعج فئات يمينية وسطية عديدة. وهو بغموضه غير مريح في مجمله لأصحاب المصالح في الدولة العميقة؛ ذلك أن خطاب فيون

---

[6] "François Bayrou n'est pas candidat et propose une alliance à Emmanuel Macron," *La Dépêche*, 22/2/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2nD5MMV

[7] "François Baroin, plan B de François Fillon?," *TMC*, 17/2/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2plgS92

[8] "Des députés de droite appellent Fillon à «prendre une décision»," *Le Figaro*, 1/2/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2jDnFEp

[9] "17 frondeurs de droite appellent François Fillon à "prendre ses responsabilités"," *L'OBS*, 14/2/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2oo6lqR

[10] Christophe Forcari, "L'UDI suspend son soutien à Fillon – et s'offre sept jours de réflexion," *Libération*, 1/3/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2orCi3e

[11] "Les sarkozystes vont proposer une "initiative" pour une sortie "respectueuse" de Fillon," *BFMTV*, 5/3/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2p4tAZF

المحافظ فيما يخص الأجانب وأبناء الجاليات المسلمة والهجرة قد يجر البلاد إلى صدامات اجتماعية، ويؤثر في توازنات الدولة اقتصاديًا.

وعلى الرغم من تحفظ بعض التيارات، فإن فيون لا يزال يمثل ورقة رابحة لدى شريحة مهمة من أصحاب النفوذ في الدولة العميقة. وهو ما يظهر من خلال الدعم الذي يتلقاه، في المقابل، من شخصيات قوية ومؤثرة كهنري دو كستري، رئيس "مجموعة بلومبيرغ" القوي الذي أعلن رسميًا مساندته لفيون[12]، ومرشح دو كستري، بقوة لشغل أحد المناصب المهمة في إدارة فيون (وزير للاقتصاد أو الخارجية). كما أعلن ألكسندر بومبارد، مدير عام شبكة توزيع المنتجات الثقافية "لافناك"، دعمه المطلق لفيون ولبرنامجه[13]. والأمر نفسه ينطبق على رجل الأعمال، بيار دانون، المدير العام لمؤسسة "نوميريكابل" الذي شغل منصب مساعد مدير حملة فيون في الدور الأول[14]. أمّا "حركة مؤسسات فرنسا" (ميداف) النافذة، فهي متجهة إلى مساندة فيون، وإن لم تعلن مرشحها بعد، إلّا أنه من المعروف عنها مساندتها للجمهوريين تقليديًا، وكانت من أبرز الداعمين لساركوزي خلال انتخابات 2012. ويبدو أيضًا أن مجموعة مساهمين "كاك 40" ستقف هي الأخرى مع فيون، وهو الطرح الذي ذهب إليه، مثلًا، فيلسوف اليمين المتطرف الشهير، ألان دو بونوا[15].

ويحظى فيون كذلك بمساندة قوية من جمعيات "تظاهرات للجميع"[16] التي لها علاقات قوية بالكنيسة الكاثوليكية، وهي ضد قانون "الزواج للجميع" الذي أقر زواج المثليين.

---

[12] "Henri de Castries: «Je m'engage pour François Fillon»," *Le Figaro*, 16/1/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2ornCRI

[13] "Un Stéphanois au gouvernement si François Fillon est élu?," *France bleu*, 28/11/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2orUDgz

[14] Étienne Girard, "François Fillon: le candidat des banquiers et des grands patrons, c'est lui," *Marianne*, 23/11/2016 accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2oxSUXr

[15] "Pour Alain de Benoist, François Fillon est le candidat des actionnaires du CAC 40," *NovoPress*, 30/11/2016 accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2o3WPHs

[16] "La Manif pour tous soutient Fillon, "toujours présumé innocent"," *Le Point*, 4/2/2017 accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2o3Yj4y

أمّا برنامجا لوبان وميلونشون في أقصى اليمين، وأقصى اليسار، فهما لا يحظيان بدعم قوي من لوبيات الدولة العميقة والأوليغارشية المالية؛ بسبب مناهضتهما الشرسة للأفكار النيوليبرالية وللاتحاد الأوروبي، ويمثلان النقيض الرئيس لتوجهات لو سيستام التقدمية الأوروبية والكوسموبوليتية. كما لا تبدو بيانات بونوا هامون اليساري التقليدي من الحزب الاشتراكي جاذبة لتغيير قناع السياسة النمطية في فرنسا.

الفضاء الإلكتروني

برز الفضاء الإلكتروني بمختلف أقسامه (يوتيوب، وجوجل، أو مواقع التواصل الاجتماعي: تويتر، وفايسبوك) بصفته أحد أهم العوامل الجديدة المؤثرة في العملية الانتخابية. وتوسع هذا الفضاء بالتدريج، وأصبح وسيلة استقاء المعلومات الأولى لمختلف الفئات الاجتماعية؛ وأصبحت درجة تأثير هذا الفضاء في الطبقة الناخبة تفوق تأثيرات المؤسسات الإعلامية التقليدية.

وتسيطر التيارات المناهضة للإمبريالية، والمقاومة والمعارضة لتوجهات فرنسا الكوسموبوليتية والتحررية على المحتوى الأكثر تأثيرًا في الفضاء الإلكتروني الفرنسي، وتتحالف التيارات السيبرانية المؤثرة في مجملها مع اليمين المحافظ ولوبان.

وبرزت مؤخرًا عدة شخصيات في هذا الفضاء كالشيوعي السابق، ألان سورال، صاحب مؤسسة "المساواة والتصالح" المقربة من التيارات الشعبوية الرافضة للكياسة السياسية "بوليتيكمون كوراكت". ويساند سورال مارين لوبان، على المستوى المحلي، كما لا يخفى إعجابه بسياسات بوتين على المستوى الدولي. وحضر سورال، مؤخرًا، مؤتمر "عصر جديد للصحافة" الذي نظم في موسكو، وتطرق إلى المقارنة بين الصحافتين التقليدية والحديثة، والتقى خلاله ألكسندر دوغين[17] الذي ترجمت مؤسسة سورال "المساواة والتصالح" معظم كتبه إلى اللغة الفرنسية. والشعار الأساسي لسورال هو المزج بين القيم اليمينية التقليدية المحافظة اجتماعيًا وأنظمة اليسار

[17] "Conférence d'Alain Soral à Moscou : Contre l'emprise mondialiste sur la France et pour une alternative multipolaire," AgoraVox, 24/11/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2oo33nm

العمالي[18]، وينادي في خطاباته إلى التوافق والتصالح بين الفرنسيين الأصليين والفرنسيين من أصول إسلامية؛ وذلك لمناهضة التوجهات العولمية والصهيونية لفرنسا.

وفي هذا الإطار، برز كذلك الممثل الفكاهي الشهير ديودوني مبالا مبالا صاحب تحية "لاكانال" النازية المثيرة للجدل، والذي حوّله الفضاء الإلكتروني من التمثيل والمسرحيات الفكاهية إلى أحد أبرز الناشطين السياسيين وأكثرهم تأثيرًا في فرنسا، ويُعدّ ديودوني، بالمناسبة، أحد أصدقاء إيران وزارها في مناسبات عديدة[19].

ولا تقتصر ظاهرة التأثير الإلكتروني على هذا الثنائي، بل توجد أسماء أخرى تدور في فلكهما، حتى وإن خالفتهما الخطاب أحيانًا، ومن هؤلاء برزت أسماء كسليم العايبي صاحب مؤسسة "الفكر الحر"، وهو شاب ذو أصول جزائرية يقطن في مدينة مرسيليا الجنوبية. ونذكر كذلك أحمد موالك، صاحب "مدونة المقاومة" و"الضاحية تتحدث" الذي انشق عن الثنائي ديودوني – سورال بعد مرافقتهما مدة طويلة. ونضيف يحيى قواسمي، المتشيع ذا الأصول الجزائرية، والمقرب من إيران منذ ثمانينات القرن الماضي[20]، وكان قواسمي قد أسس في المدة الأخيرة حزبًا سياسيًا أسماه "مكافحة الصهيونية". كما أن الناشط السياسي والصحافي اليساري الفرنسي، تيري ميسان، صاحب "شبكة فولتير" المقيم في دمشق، والمقرب من ديودوني، أصبح يتمتع بتأثير مهم في الشبكات العنكبوتية مدعيًا الكشف عن المؤامرات الدولية الكبرى كحوادث 11 سبتمبر على سبيل المثال.

وثمة أمر آخر يؤكده الخطاب والسلوك الصادران عن أبرز الناشطين في هذه الحركات "اليوتوبية" و"السيبرانية" المعارضة ويتمثل بظهورهم في مظهر الضحية من خلال اتهامهم المستمر للمؤسسات الإعلامية التقليدية بفرعيها المرئية والورقية بالغوغائية والاستسلام للوبيات الضغط الصهيونية وغيرها، وبأنها أغلقت أبوابها أمام نشاطاتهم، وهي لم ولن تسمح لهم بالظهور. وهذا ما يحثهم على استغلال المساحات الحرة التي يوفرها لهم

---

[18] للاطلاع على ميثاق الجمعية السياسية "المساواة والتصالح" لألان سورال، انظر:

"Charte: Egalite & Reconciliation," accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2p4AKxg

[19] خلال هذا الفيديو يظهر ديودوني في حوار مع قناة إيرانية تبث من طهران، انظر:

"Dieudonne en Iran "le vrai"," YouTube, 21/12/2014, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2oo48eR

[20] Thierry Lalevee, "Ben Bella's latest terrorist operations, Thierry Lalevée," *Executive Intelligence Review*, Vol. 11, No. 40 (October 16, 1984), accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2orCgZ6

الفضاء الإلكتروني كاليوتيوب؛ رغبةً منهم في الانتقام ومقاومة توجهات الإعلام التقليدي الذي تتحكم فيه لوبيات الدولة العميقة. وتتشابك خطابات هذه الحركات في الفضاء الإلكتروني بطريقة مترابطة.

ونتيجة لنجاحات هؤلاء الناشطين في التأثير الاجتماعي والسياسي، أصبحت المؤسسات الإعلامية التقليدية تلتفت لخطابهم، وتتابع عروضهم، وتعرض أحيانًا على شاشاتها مقتطفات مما ينشرونه على موقع يوتيوب، وتناقشها في برامجها.

وبات واضحًا اليوم الدور الكبير الذي أصبح يؤديه الفضاء الإلكتروني، وهو ما جعل قامات إعلامية مهمة كإيدوي بلينيل، على سبيل المثال، وهو رئيس تحرير صحيفة لوموند سابقًا ينتقل إلى النشاط الإلكتروني من خلال إنشائه جريدة إلكترونية إخبارية أسماها "ميديا – بارت" ذات التوجهات اليسارية، وحجزت مكانها في وقت قصير ضمن أقوى الصحف الإلكترونية على مستوى فرنسا، وكانت لها مساهمة فعّالة في الكشف عن القضية المثيرة للجدل بشأن الدعم الذي تلقاه ساركوزي من القذافي قبل الانتخابات الرئاسية 2012.

ويعيش الغرب عمومًا حالةً فريدةً من التصادم الشرس بين التيارات والحركات السياسية الحديثة التي نشأت من خلال الفضاء الإلكتروني، والتيارات السياسية التقليدية التي تظهر على الإعلام وتركز خطاباتها على اللباقة السياسية. وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته من خلال نتائج الانتخابات الأميركية الأخيرة التي شهدت تجاوز تأثير الفضاءات الإلكترونية لنظيرتها التقليدية في العملية الانتخابية. كما أن استعمال ترامب لخطاب وتصريحات شعبوية مركزة عبر وسيلة إلكترونية كتويتر، وعدم اعتماده على وسائل التواصل التقليدي كالإعلام، واللجان، والنقابات، وغيرها، شجع المرشحين للرئاسة في فرنسا على أن يعتمدوا على الفضاء الإلكتروني بكثافة. وتتصدر قناة "جون لوك ميلونشون" قائمة القنوات الأكثر متابعة للسياسيين الفرنسيين (عامة) على اليوتيوب، في حين تتربع حسابات مارين لوبان على صدارة مواقع التواصل الاجتماعي ثم يليها ميلونشون، بفارق كبير عن بقية المرشحين. وهذا الأمر الذي يؤكد أن التيارات التي لا تحظى عادة بتغطية إعلامية مكثفة في أقصى اليمين وأقصى اليسار هي التي تتصدر المشهد في الفضاء الإلكتروني. وعلى الرغم من الدور المهم الذي أصبح يضطلع به هذا الفضاء، فإن سحر المناظرات السياسية التي تبث على القنوات التقليدية قبل العملية الانتخابية

وتأثيرها في الناخب لم يفقد بريقه في فرنسا. وهو ما أكدته نتائج الدور الأول لدى اليمين واليسار؛ إذ ساعدت المناظرات التلفزيونية فيون وهامون كثيرًا على التقدم على منافسيهما جوبيه وساركوزي وفالس.

ولا يمكن بأي حال انتقاص قيمة هذه التيارات السياسية والاجتماعية التي شُكّلت من خلال الإنترنت، وتصدرت المشهد العام في الغرب؛ فهي تتميز أحيانًا بنظرة عميقة للواقع، وبخطاب توعوي مركز، كما فتح لها الفضاء الإلكتروني منصات متعددة كاليوتيوب، وغوغل، وتويتر وفايسبوك..إلخ؛ ما جعلها تخاطب الجماهير بمصطلحات تفهمها، ومواضيع قريبة من اهتماماتها، وبعيدة عن خطابات اللباقة السياسية المعهودة والتقليدية.

وتعود سيطرة خطابات تيارات أقصى اليمين وأقصى اليسار على المجالات الرقمية والإلكترونية في فرنسا لتبنيها خطابات ومصطلحات شعبوية، لم يتعود المواطن على سماعها في الإعلام التقليدي العمومي أو الخاص الملتزم ببعض البنود والمواثيق المعنوية المفروضة عليه. وهو ما أدى إلى تحقيق هذه التيارات انتشارًا كبيرًا لدى أقسام مهمة من المجتمع الفرنسي، ينتابها ملل شديد من اللباقة السياسية التي يتميز بها الإعلام والسياسة. فخطاب هذه التيارات الإلكترونية يخالف الأيديولوجية الوسطية اليسارية التقدمية السائدة في الإعلام الفرنسي، وخطاباتها مواكبة لعملية الانتقال المتزايد نحو اليمين في المجتمع الفرنسي خاصة، والأوروبي عامة، مع تصاعد التهديدات الإرهابية.

المؤسسات والشخصيات الفكرية

تؤثر خطابات رجال الفكر، وتقارير المؤسسات الفكرية وخلايا البحوث، في مختلف مجالات السياسات العامة الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، تأثيرًا بليغًا في صناعة الإستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة الفرنسية.

وللشخصيات والمؤسسات الفكرية، قبل أي عملية انتخابية، دور مهم جدًّا في صياغة بيئة فكرية مؤثرة في توجهات النخب السياسية، والمواطن الناخب. ويمكّننا النظر في خطابات أبرز رجالات الفكر ومؤسسات أن ندرك سيطرة التوجهات الليبرالية التحررية والتقدمية على مجمل الساحة الفكرية الفرنسية، ومجمل الدراسات ترتكز على المبادئ الوسطية عند اليمين أو اليسار.

ومن بين الشخصيات الفكرية التي تساهم بنظرياتها وخطاباتها في تغذية الساحة السياسية والجماهيرية فكريًا، نذكر على سبيل المثال أستاذ الاقتصاد المخضرم جاك أتالي الذي شغل سابقًا منصب مستشار الرئيس الفرنسي الراحل، فرانسوا ميتيران. ويتميز أتالي بكونه ذا توجهات يسارية، يساند السوق الحرة والمنهج الليبرالي التحرري، ويدعم خلال هذه الانتخابات المرشح ماكرون[21]. وكان أتالي أحد عرّابي ماكرون في بداية حياته العملية ووجد له عملًا، من خلال معارفه، في بنك روتشيلد الفرع الفرنسي.

وشهدت الساحة الفكرية مؤخرًا بروز شخصيات تصنع الحدث مثل ألان فينكيلكروت الذي لم يعلن بعد عن مرشحه في الدور الثاني، بعدما ساند مانويل فالس في الدور الأول. واكتفى بالتصريح مؤخرًا بأن فوز لوبان أو ماكرون بالرئاسة سوف لن يلبي طموحاته[22]، وهو ما يؤكد أن مساندته ستنحصر في ميلونشون الذي أثنى عليه كثيرًا أو هامون. أمّا الفيلسوف الشاب واليساري، رافائيل جليكوسمان، فهو يساند مرشح الحزب الاشتراكي، فرانسوا هامون[23]. كما أعلن الفيلسوف، بول ريكور، عن دعمه لصديقه وأحد مقربيه سابقًا ماكرون[24]. وأعلن، إيريك أورسينا، الأكاديمي ومستشار ميتيران سابقًا مساندته لماكرون، وانضم إلى فريق عمله مستشارًا بارزًا[25]. ولم يشر الفيلسوف، ميشال أونفراي، إلى مرشحه المفضل مع أن توجهاته يسارية معلنة، واكتفى بتكهنه قبل أشهر بأن الدور الثاني قد يجمع بين لوبان وفرنسوا بايرو[26] الذي اتضح فيما بعد عدم ترشحه للانتخابات في آخر لحظة مفضلًا مساندة ماكرون كما أشرنا سابقًا.

---

[21] Léa Salamé, “Attali: « macron a tous les talents pour être un homme d'état »,” GQ Magazine, 27/2/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2o51JVA

[22] “Primaire de la gauche: Alain Finkielkraut voterait pour… Manuel Valls,” Atlantico, 19/1/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2p4zv17

[23] Raphaël Glucksmann, “Cours vite, camarade Hamon!,” L’OBS, 5/2/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2kBX1Ao

[24] “Macron philosophe: ces intellectuels qui n'y croient pas,” *l’express*, 6/9/2016, accessed on 12/4/2017, at : http://bit.ly/2bTJLVi

[25] Dominique Perrin, “La double vie d’Erik Orsenna, intellectuel et businessman,” *Le Monde*, 2/12/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://lemde.fr/2p6QGfB

[26] “Présidentielle 2017: Onfray imagine un duel Le Pen-Bayrou,” *Le Parisien*, 3/10/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2orPqVW

أمّا المثير للجدل، إيريك زمور، صاحب نظرية "الانتحار الفرنسي" التي شرح خلالها خلخلة الدولة الأمة وضعفها في فرنسا، وعبر عن قلقه من إمكانية نشوب حرب أهلية طاحنة بين الطوائف بسبب ارتفاع أعداد المسلمين، في خطاب يقارب أو يفوق لهجة الجبهة الوطنية، فلم يخف أحيانًا إعجابه الصريح بتوجهات مارين لوبان، وإن لم يعلن بعد عن دعمه العلني لها. وهو الاتجاه نفسه تقريبًا الذي يذهب إليه ميشال والباك في روايته "استسلام" التي تخيل خلالها انتخاب رئيس مسلم لحكم فرنسا أطلق عليه اسم "محمد بن عباس"، وشاءت أقدار والباك في روايته أن يكون صعود "بن عباس" على حساب مارين لوبان في الدور الثاني من انتخابات 2022. ويتبين من خلال كتابات والباك وخطاباته أنه يتبنى فكرًا محافظًا يقترب من اليمين المتطرف، لكنه لم يعلن صراحة مرشحه الانتخابي.

وفي إطار المؤسسات الفكرية المرموقة ذات الأدوار التأثيرية المهمة في الساحة الانتخابية، نجد معهد "مونتين" الذي أنشأه المفكر ورجل الأعمال القوي، كلود بيبيار، مؤسس شركة "أكسا" أكبر شركات التأمين في العالم، وبيبيار هو أحد المقربين من ماكرون وحركته "إلى الأمام"، ولكن المعهد عمومًا يشجع السياسات الليبرالية الاقتصادية وبذلك فهو منقسم بين برامج ماكرون وفيون[27]، وتقدم مجموعة من الشركات الفرنسية متعددة الجنسيات الكبرى كتوتال و"كارفور" الدعم السخي للمعهد[28] .

أمّا مركز "تيرا نوفا" للأبحاث، وهو أحد أقوى مراكز الأبحاث في فرنسا حاليًا، والذي أنشأه أوليفيه فيران أحد المقربين من دومينيك ستراوس كان والحزب الاشتراكي، وأشرف عليه إلى وقت قريب رجل الأعمال الراحل هنري هارماند عراب ماكرون سياسيًا[29]، فهو سيحافظ على توجهاته اليسارية الوسطية والتقدمية خلال هذه الانتخابات؛ إذ سيقدم دعمًا فكريًا قويًا للمرشح الوسطي المستقل ماكرون من خلال مديره العام الجديد، تيري باش، أحد المقربين من ماكرون[30].

---

[27] "Un think tank libéral se cache-t-il derrière les candidatures Macron et Fillon?," *Challenges*, 8/12/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2oo6LNQ

[28] Weronika Zarachowicz, "L'influence des think tanks, cerveaux des politiques," *Télérama*, 16/12/2011, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/1DkzyTd

[29] "Henry Hermand, acteur de la deuxième gauche et mentor d'Emmanuel Macron, est mort," *Le Monde*, 6/11/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://lemde.fr/2f71Vls

[30] Benjamin Masse, "Jusqu'où Emmanuel Macron peut-il aller?," *La Libre*, 16/1/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2p4l0sY

ولا تبدو المؤسسة الفكرية "كوبرنيكوس" اليسارية والناقدة للتوجهات الليبرالية والنيوليبرالية داعمةً لأي مرشح خلال هذه الانتخابات؛ رغبةً منها في الحفاظ على خطها الحيادي الاعتيادي، لكنّ توجهاتها المنتقدة للسياسات النيوليبرالية ستجعلها تخالف برامج فيون وماكرون الليبرالية، وتبدو أقرب أيديولوجيًا إلى برامج ميلونشون اليسارية، والمناهضة لليبرالية الاقتصادية.

أمّا حلقة "هوراس" (les Horaces) الفكرية الغامضة التي تضم نحو 80 عضوًا من نخب الدولة، والذين يفضلون الابتعاد عن الأضواء والإبقاء على هوياتهم مجهولة[31]، باستثناء المتحدث باسم المجموعة، الشاب المتألق ذي الأصول المصرية، جان مسيحا[32]، فمجموعة "هوراس" لم تكتف بمساندة مارين لوبان والجبهة الوطنية بل شاركتها في صياغة برنامجها الانتخابي الذ اتخذت له عنوانًا: "144 التزامًا رئاسيًا 2017"[33].

ويتجه معهد العلاقات الدولية والإستراتيجية (IRIS) إلى مساندة ماكرون في حملته، ويدير هذا المعهد الجيوبوليتيكي اليساري الشهير، باسكال بونيفاس، وله مجموعة من الرؤساء الفخريين اليساريين كوزير الخارجية السابق، هوبرت فيدرين، وباسكال لامي، المدير العام السابق لمنظمة التجارة العالمية.

أمّا مركز "الفوندابول" ذو التوجهات اليمينية الليبرالية والتقدمية والأوروبية، والذي أداره سابقًا جيروم مونود، المقرب من جاك شيراك والإليزيه سابقًا[34]، فلن يخالف تقاليده اليمينية هذه المرة؛ إذ هو يتجه إلى تقديم دعمه الفكري لمرشح الجمهوريين فرانسوا فيون.

---

[31] Justine Faure, “Qui sont les "les horaces", ce mystérieux collectif d’élites au service de Marine le Pen?,” LCI, 13/9/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2coT3Vx

[32] Dominique Albertini, “Jean Messiha, un cadre atypique au FN,” *Libération*, 10/2/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2o5uFwJ

[33] للاطلاع على برنامج مارين لوبان الانتخابي باللغة الفرنسية، "144 التزامًا رئاسيًا"، انظر:

“144 engagements presidentiels,” Marine 2017, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2l4XGed

[34] “Disparition de Jérôme Monod, grand patron et homme de l’ombre de Jacques Chirac,” *France 24*, 21/8/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2o4asXf

وكذلك، نادي "دي لينا" الفكري، ومؤسسة "كونكورد" المتخصصة في الدراسات الصناعية والمواضيع المتعلقة بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة فهي مقربة تقليديًا من اليمين الوسطي الليبرالي. ويعدّ فيون مرشحهما المفضل. أمّا مؤسسة "جان جوريس" الفكرية التي يرأس إدارتها جيل فينشالستاين، فهي ذات توجهات يسارية، ومقربة من الحزب الاشتراكي.

و"المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية" (ايفري) يعدّ من أهم مراكز الأبحاث في فرنسا وأقدمها، وهو لا يحمل أي صبغة سياسية معيّنة، ويحافظ منذ سنوات عديدة على خطه المستقل والحيادي، ويتمتع بحاضنة كبيرة على الساحة الفكرية الفرنسية.

ويمكن أن نعدّ الأيديولوجية السائدة في مجمل القطاعات الفكرية (شخصيات ومؤسسات) مواكبةً للأيديولوجية الوسطية الليبرالية التحررية والحقوق الإنسانية السائدة سياسيًا، واقتصاديًا، وإعلاميًا، واجتماعيًا (مع أن الاتجاه متزايد نحو اليمين المتطرف على المستوى الاجتماعي) في فرنسا، وهي تؤازر في غالبيتها اليميني فيون أو اليساري هامون أو المستقل ماكرون. وهو ما قد يفتح الأبواب للسؤال الفلسفي التقليدي في هذا المجال: هل الفكر هو الذي يوجه السياسة؟ أم أن السياسة هي التي توجه الفكر؟

والجواب عن هذا السؤال في فرنسا يبدو معقدًا؛ بما أن للفكر أدوارًا مهمة في تشكيل العملية السياسية، والخطاب الإعلامي، والإستراتيجية البنيوية والأيديولوجية للدولة، كما أن القيم السياسة الأساسية كالجمهورية والعلمانية والليبرالية والوسطية والحقوق الإنسانية تُعدّ من المقدسات التي يصعب المساس بها.

المؤسسات الأمنية

تحتل المؤسسات الأمنية بمختلف تفرعاتها، من جيش، واستخبارات، وشرطة، ودرك، ومؤسسات خاصة، مكانة مهمة تقليديًا في تشكل المشهد السياسي والانتخابي العام. وهو الدور الذي توفره لها أدوارها الأساسية في المواضيع الحساسة كمحاربة الإرهاب، وطبيعة عملها في الدفاع عن مصالح فرنسا داخليًا وخارجيًا؛ ما يجعل نفوذها أساسيًا على المسرح السياسي.

وتبدو الفوارق في أساليب التأثير في العملية الانتخابية والسياسية واضحة وشاسعة، إذا ما قارناها بما هو موجود في بعض الدول العربية التي تصل تدخلات المؤسسات الأمنية فيها حد استعمال أساليب غير لائقة وغير قانونية دستوريًا، وتشهد تزوير النتائج النهائية خدمة لمرشحيها المفضلين. في حين يقتصر تأثير المؤسسات الأمنية في فرنسا ونفوذها على تقاريرها، وعملياتها التي تستقيها من مختلف مهماتها الأساسية لتأمين البلاد من الأخطار التي تواجهها. وقد يكفي ورود تقرير عن نشاط جماعة إرهابية داخل البلاد أو على حدودها لانقلاب المشهد الانتخابي العام، وتغيير التوجهات النخبوية والشعبية. وهو ما يجعل نفوذ المؤسسات الأمنية مهمًّا في تحديد نتائج الانتخابات الرئاسية.

ولم يعد التأثير في المشهد السياسي العام وفي الناخب في عصر العولمة والتواصل مقتصرًا على تقارير المؤسسات الأمنية الوطنية وعملياتها، بل توسعت الدائرة لتشمل تقارير المؤسسات الأمنية الخارجية. فعلى سبيل المثال، قد تؤثر تقارير المؤسسات الأمنية الكندية حول حادثة مقتل ثلاثة مسلمين، داخل مسجد في كندا على يد شاب أبيض يميني متطرف متأثر بأفكار مارين لوبان، في توجهات الناخبين في فرنسا.

وتتميز التوجهات السياسية للمؤسسات الأمنية، عادة، بالتشفير المعقد الذي يصعب من عملية فك رموزه. ولكن، من خلال البرامج التي يقترحها المرشحون للرئاسة، وبمتابعة الإستراتيجيات العامة والخطاب السائد لدى المؤسسات الأمنية الفرنسية في الآونة الأخيرة، يمكن استشعار التوجهات المرغوب فيها، ولو بصورة هلامية غير واضحة المعالم.

وعلى سبيل المثال، فإن مقترحات مارين لوبان الدفاعية ستتلاءم بلا شك مع تطلعات مؤسسة الجيش على وجه الخصوص؛ بسبب ما تمثله مقترحاتها لهذه المؤسسة الوطنية التي يحس موظفوها بالاستسلام لأوضاع دولية جديدة انعكست عليهم داخليًا، وأفقدتهم هيبتهم وأدوارهم السيادية السابقة، وكثير من العسكريين يتملكهم إعجاب شديد بالدول العسكرية القوية التي يتمتع فيها العسكر بكامل قوتهم المعنوية، وحقوقهم التنفيذية بعيدًا عن هيمنة المسؤولين المدنيين على مؤسستهم. وهو ما يتقاطع نسبيًا مع توجهات لوبان في هذا الشأن؛ فهي تعتزم الرفع من ميزانية الدفاع خلال سنتها الأولى من الحكم لتصل إلى 2 في المئة من إجمالي الناتج المحلي (مقابل

1.78 في المئة حاليًا[35] أي بحوالى 4.5 مليارات يورو)، ثم ترفعها بالتدريج لتصل إلى 3 بالمئة مع نهاية عهدتها الأولى (أي بزيادة إجمالية من 1.78 الآن إلى 3 في المئة في نهاية عهدتها تصل إلى حوالى 24.5 مليار يورو)، وإقرار الزيادة المقدرة بنسبة 2 في المئة من إجمالي الناتج المحلي رسميًا في الدستور. كما تعتزم لوبان بهذه الإجراءات تقوية قدرات فرنسا العسكرية، وتمويل حاملة طائرات جديدة تسمى "ريشليو" للقوات البحرية، وزيادة القوى العاملة في الجيش عما كانت عليه عام 2007 أي بإضافة حوالى 50 ألف عسكري، والتدرج في إعادة إدراج خدمة عسكرية إلزامية لمدة 3 أشهر على الأقل[36]؛ وبهذه الإجراءات تحاول لوبان إعادة الحياة للمؤسسة العسكرية، بعدما فقدت بريقها خلال السنوات الأخيرة.

وبالتوازي مع ذلك، لا تبدو برامج بقية المرشحين ملهمة للمؤسسة العسكرية؛ فهامون لا يقترح أكثر من تخصيص 3 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي للمؤسسات الأمنية مجتمعة (الدفاع والشرطة والدرك)[37]. ويقترح فيون تخصيص 2 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي للدفاع لكن في حدود الفترة 2020-2025، ويطالب بمساعدة القوات الدفاعية الأوروبية لفرنسا في عملياتها الخارجية[38]، وهو ما يناقض السيادة الوطنية المقررة في العقيدة العسكرية الفرنسية. كما يطمح ماكرون بتخصيص القيمة نفسها (2 في المئة)، لكن، في مدة زمنية أقل، تنطلق مع بداية عهدته[39]. أمّا ميلونشون، فبرنامجه لا يحمل أي مقترحات دفاعية خاصة، عدا رغبته في الخروج من حلف الناتو، واقراره خدمةً وطنيةً مدنيةً تتخللها تدريبات عسكرية ومهمات أخرى خدمة للمصلحة العامة في مدة زمنية تصل إلى تسعة أشهر بما يشبه الخدمة العسكرية[40].

---

[35] "Budget: pourquoi l'armée réclame 2% du PIB," *Challenges*, 6/9/2016, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2oWOsCL

[36] "144 Engagements Présidentiels," p. 19.

[37] "Benoît Hamon propose de porter à 3 % le budget de l'Etat pour la «défense» et la «sécurité»," *le monde*, 6/1/2017, accessed on 12/4/2017, at: http://lemde.fr/2ojxgCD

[38] "Défendre nos valeurs, exige une armée forte," François Fillon, p. 3, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2oxSIHG

[39] "Programme En Marche, un État qui protège," Emmanuel Macron, p. 15, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2mwybDn

[40] "Tableau de bord de l'élection présidentielle 2017, Jean-Luc Mélenchon," *Le Parisien*, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2mSNYfO

وإذا ما استثنينا مؤسسة الجيش، فإن بقية المؤسسات الأمنية كالشرطة والدرك لا تلهمها برامج لوبان كثيرًا، بل على العكس قد تهدد إجراءات لوبان الاستقرار الأمني العام من خلال رغبتها في اتخاذ مجموعة من التدابير الأمنية والقضائية القاسية التي قد ترفع حجم التهديدات الأمنية إلى درجات غير مسبوقة في تاريخ فرنسا الحديث. فهي على سبيل المثال، تعتزم وضع خطة شاملة لنزع السلاح المنتشر كثيرًا في بعض الضواحي؛ رغبة منها في استعادة سيطرة الدولة على هذه المناطق الخارجة عن القانون[41]. وهو ما قد يجر إلى مواجهات دامية بين رجال الأمن والعصابات المسلحة الحاضرة بكثافة في بعض الضواحي الخطيرة، وفي الأحياء المصنفة مناطق حضرية حساسة؛ وهو ما قد يقود في النهاية إلى فوضى داخلية عارمة، لا تخدم مصالح المؤسسات الأمنية.

ويمكن تشبيه توجهات المؤسسات الأمنية الفرنسية في هذه الانتخابات بما آلت إليه توجهات المؤسسات الأمنية الأميركية خلال الانتخابات الرئاسية الأخيرة، عندما تقاطعت مصالح الجيش مع ترامب، وترددت بقية الأجهزة الأمنية كالاستخبارات في دعمه. وهو السيناريو الأقرب للحدوث في فرنسا؛ إذ ستدعم المؤسسة العسكرية لوبان بسبب برامجها المحفزة لتقوية القطاع العسكري، في حين تتردد بقية الأجهزة الأمنية في دعمها، وهي لا تظهر في الوقت ذاته دعمًا علنيًا ظاهرًا أو باطنيًا مستشعرًا لأي مرشح آخر.

المؤسسات الصغيرة والمتوسطة

أصبحت المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في المدة الأخيرة عنصرًا أساسيًا ومؤثّرًا في العملية الانتخابية. ومن الواضح أن الأمر لم يعد شأنًا فرنسيًا محليًا، بعد أن ساندت المؤسسات الصناعية الصغيرة والمتوسطة في الولايات المتحدة بقوة برامج ترامب الحمائية، لمعاناتها مضايقات مزدوجة، أجنبية، وداخلية من المؤسسات الأميركية الكبرى. وهو ما جعل ترامب يكلف، بعد فوزه بالانتخابات، رائدة الأعمال الناجحة والمقربة منه ليندا ماكمان صاحبة إمبراطورية المصارعة الحرة، مديرة لإدارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. ويظهر ترامب،

[41] "144 Engagements Présidentiels," p. 5.

بتعيينه شخصية ناجحة وبارزة مثل ماكمان، رغبته في إعطاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة أولوية خاصة؛ فهذه المؤسسات أصبحت اليوم تمثّل أكثر من 90 في المئة من القطاع المؤسساتي في العالم[42].

إن نجاح ترامب، ببرنامج اقتصادي ارتكز أساسًا على دعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والطبقة العمالية، أصبح ملهمًا لبعض المرشحين لرئاسة فرنسا؛ وأدى ذلك إلى زيادة تركيزهم على المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ومحاولة تقديم التسهيلات والمزايا لها، بعدما اقتصرت اهتماماتهم سابقًا على المؤسسات الكبرى. وتتصدر لوبان قائمة الملهمين بهذا القطاع الذي تجده ملائمًا لطموحاتها المناهضة لليبرالية الاقتصادية التي فتحت الأسواق الفرنسية للمنافسة الكوسموبوليتية، وهو ما يتقاطع مع طموحات أرباب العمل الصغار الذين تخنقهم المنافسة مع الشركات الدولية الكبرى.

وأصبح لأرباب العمل في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الذين لا تتعدى مؤسساتهم 250 موظفًا، وتضم حوالى 3 ملايين ناخب[43]، تأثير كبير في العملية الانتخابية، وهم يحظون بأهمية متزايدة عند الساسة والمرشحين للرئاسة لتنوع نشاطاتهم، وسيطرة مؤسساتهم مجتمعة على 80 في المئة من القطاع الخاص؛ وهو ما يجعل أدوارهم مهمة في تحريك النمو الاقتصادي، والابتكار، وقطاع العمل، والاندماج الاجتماعي.

وبالتوازي مع نفوذ أرباب العمل الصغار المتزايد، فإنهم ينخرطون في نقابة "الكنفيدرالية العامة للشركات الصغيرة والمتوسطة" التي يرأسها فرانسوا أسالان. وأصبح لهذه النقابة في المدة الأخيرة تأثير كبير في العملية الانتخابية، وليس من المبالغة أن نعدّ تأثيرها في الحقل الانتخابي مشابهًا لتأثير حركة المؤسسات الفرنسية "ميداف" الجامعة لأقوى المؤسسات الفرنسية الكبرى، وهي تساند عادةً اليمين الوسطي (ساركوزي عام 2012، فيون عام 2017) كما أشرنا سابقًا.

---

[42] "rapport sur l'évolution des pme," Observatoire des pme, 2014, p. 29, accessed on 12/4/2017, at: http://bit.ly/2ooe34i

[43] "PME: "C'est un peu plus de trois millions d'électeurs"," *France Info*, 19/10/2016, accessed on 13/4/2017, at: http://bit.ly/2evelA1

وعلى الرغم من تنوع الاهتمامات والتوجهات السياسية في قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، فإن "الكنفيدرالية العامة للشركات الصغرى والمتوسطة" متجهة إلى مساندة مارين لوبان؛ نظرًا لبرامجها الداعمة لتخفيض التعقيدات الإدارية والأعباء الضريبية على المؤسسات الصغيرة والمتوسطة[44].

وتبدو مقترحات فيون في هذا الشأن متقاربة مع لوبان، فهو يدعو لتقوية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الموجودة وتطويرها، وعدم الاكتفاء بزيادة أعدادها فقط، بل تقويتها والرفع من حجمها التوظيفي، ويراها إحدى الوسائل الداعمة لسياساته الساعية للرفع من حجم التنافسية الاقتصادية وزيادة ساعات العمل الأسبوعي[45]. ولكنّ متلازمة ساركوزي لا تزال تلاحق الجمهوريين في هذا القطاع، بعد أن قدم ساركوزي وعودًا طموحة لأرباب العمل الصغار والمتوسطين خلال حملته الانتخابية (2007-2012) ثم خالفها خلال عهدته، مقدمًا دعمًا أقوى لحركة المؤسسات الفرنسية الكبرى "ميداف".

لم تولِ بقية المرشحين للرئاسة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة أهمية خاصة؛ فماكرون تقتصر مقترحاته على إنشاء موقع إلكتروني موحد لإعطاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الالتزامات القانونية والاصلاحية التي يجب احترامها بحسب وضعيتها الإدارية[46]. أمّا هامون الذي يدعم بقوة الطبقة العمالية والنقابية باقتراحه تخفيض ساعات العمل تحت 35 ساعة وتصنيف "متلازمة الاحتراق النفسي" مرضًا مهنيًا[47]، فليس لديه خصوصيات واضحة للعمل الحر وللمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، والأمر نفسه ينطبق على ميلونشون[48].

ومن الواضح أن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة سينحصر دعمها خلال الانتخابات المقبلة في لوبان وفيون، مع ميل الكفة ميلًا واضحًا لمصلحة لوبان التي يرتكز برنامجها باللا ليبرالية الاقتصادية؛ ما سيفسح المجال

---

[44] "144 Engagements Présidentiels," p. 08.

[45] "L'entreprise, moteur de la croissance et de l'emploi," François Fillon, p. 2, accessed on 13/4/2017, at: http://bit.ly/2nHd0z7

[46] "Programme En Marche, Un État qui protège," p. 9.

[47] Benoît Hamon "Reconnaitre le burnout comme maladie professionnelle," Institut Montaigne, accessed on 13/4/2017, at: http://bit.ly/2pwaBDZ

[48] "Tableau de bord de l'élection présidentielle 2017, Jean-Luc Mélenchon,".

للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة للتحرك بحرية مطلقة داخل السوق الوطنية، وهو ما سيؤدي إلى انتعاشها، من دون مضايقات من الشركات الأجنبية.

الخاتمة

بناء على ما تقدم، تبدو المنافسة على الرئاسة منحصرة في اليمين (لوبان وفيون) والوسط (ماكرون)؛ فمارين لوبان التي يساندها الجيش، والمؤسسات الوطنية وفرنسيو الأرياف، ونسبة كبيرة من الفرنسيين المحافظين، تبدو حظوظها في الانتصار النهائي وفيرة. لكنّ مناهضتها لأوروبا، الخط الإستراتيجي المهم في السياسة الفرنسية والأوروبية على حد سواء، ومخالفتها لمصالح رجال النفوذ الليبراليين وتوجهاتهم، سيلحق بها ضررًا كبيرًا، وسيجعل طريقها إلى قصر الإليزيه صعبةً وغير معبدة.

أمّا ماكرون أو "بروتوس الجديد"[49] كما يطلق عليه في الأوساط الاشتراكية، فهو اليساري الذي خلط حسابات اليسار التقليدي بعد انشقاقه عنه، ويبدو اليوم المرشح الأوفر حظًا؛ لأنه يملك أساسيات النجاح التي ترتكز أساسًا على امتلاك قاعدة شعبية كبيرة (لدى ماكرون شعبية كبيرة خاصة في أوساط الفرنسيين من أصول أجنبية)، كما أن مشاريعه الاقتصادية والسياسية تتلاءم مع أوروبا ومع التيار النيوليبرالي المسيطر على مكونات الاقتصاد الفرنسي، وتلائم توجهاته التحررية والتقدمية الأيديولوجيةَ السائدة اجتماعيًا مع أن التهديدات الإرهابية المتزايدة سببت بعض التحولات الاجتماعية الطفيفة مؤخرًا نحو أقصى اليمين.

فرنسوا فيون من جهته، وبعدما تصدر قائمة المرشحين للفوز بالرئاسيات لمدة طويلة، فقد مؤخرًا جزءًا كبيرًا من شعبيته بعد فضيحة تشغيل زوجته في منصب وهمي أو ما يعرف بـ "بينيلوب جات" التي فجرتها صحيفة "لوكانارد أونشيني" الاستقصائية والساخرة. لكنّه ما يزال يحظى بمساندة كبيرة ومهمة من قاعدة سياسية وفكرية وأمنية قد تعيده إلى المنافسة؛ ما يجعل فرص وصوله إلى الإليزيه ممكنة، وقد يحدث المفاجأة الكبرى.

---

[49] بروتوس هو الفيلسوف السياسي الذي شارك في اغتيال الإمبراطور الروماني "يوليوس قيصر" الذي منحه كل المزايا، وهو يشبه ماكرون الذي ساهم في إخراج هولاند والحزب الاشتراكي سياسيًا، بعدما منحاه مزايا عديدة وساهما في اكتشافه سياسيًا.

أمّا اليسار، فمهمة وصوله إلى الإليزيه تبدو شبه مستحيلة في ظل الأوضاع الحالية، خصوصًا في ظل إصرار الثنائي اليساري هامون وميلونشون على الانفصال، وهو العامل الذي سيقلص كثيرًا من فرص فوزهما أو حتى وصولهما إلى الدور الثاني.

وبحسابات الدور الأول، تبدو لوبان في رواق جيّد للوصول إلى الدور الثاني، مع أن بعض المفاجآت ممكنة في اللحظات الأخيرة، إلّا أن الصراع الحقيقي من الواضح سيكون بين فيون وماكرون، وليس مستبعدًا أن يصبح المنتصر منهما في الدور الأول رئيسًا لفرنسا في 7 أيار/ مايو 2017.

وإذا كانت الأوضاع الدولية الأخيرة تخدم لوبان بوجود ترامب في الولايات المتحدة، وبوتين في روسيا، وصعود أسهم التيارات اليمينية المحافظة في أوروبا، مع أن خِيرت فيلدرز خسر الانتخابات التشريعية الهولندية، فلا شك في أن الأوضاع الداخلية تخدم مصالح ماكرون بعد فضيحة فيون، وعدم اتحاد اليسار تحت راية واحدة (ميلونشون أو هامون)، وتوجهات مارين لوبان المخالفة لقارة بأكملها؛ ما قد يعبّد الطريق في النهاية لانتصار ماكرون.